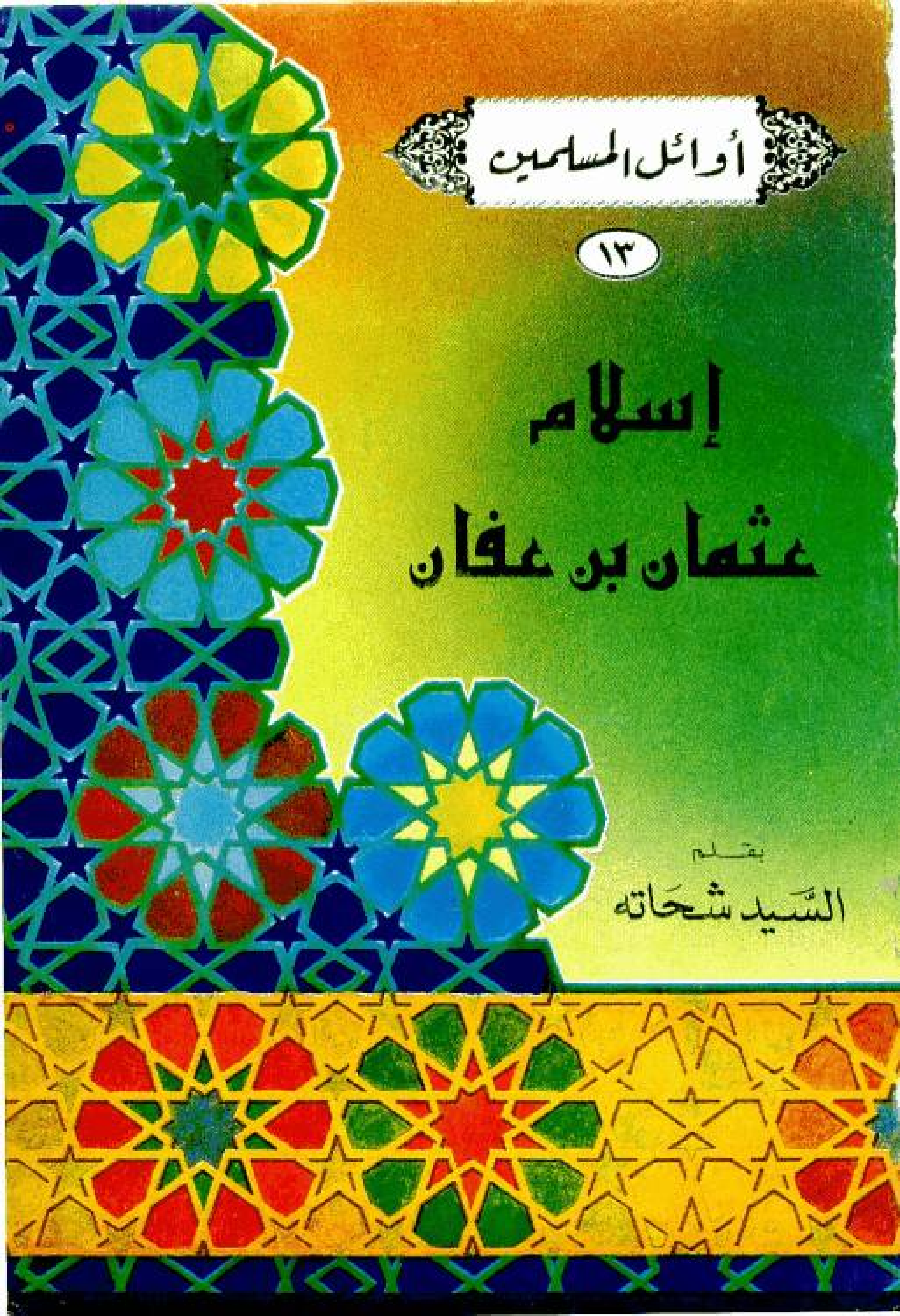
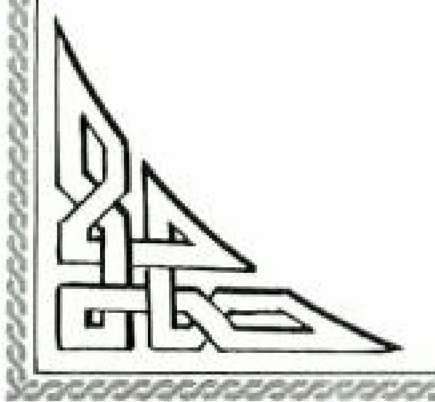

أوائل المسلمين
١٣
إسلام
عثمان بن عفان
بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام عثمان بن عفان

بقلم
السيد شحاته



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتَدى بهدْيِهِ إلى يَومِ الدِّين .

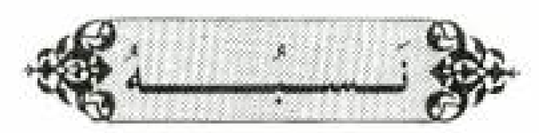
وبَعْد :

فَهذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئ العَزيزُ . لصَفوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبارَكة .

وقد جاءتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يستَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظيم .

والله ولىُّ التوفيق



هُوَ عُثْمَانُ بنُ عفَّان بْنِ أَبِي العَاصِ بن أُمَيَّة بن عَبْدِ شَمسٍ بْنِ عَبدِ مَنَافٍ فَهوَ قُرشيٌّ الأَصْلِ أمويٌّ يَجْتمعُ مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ) فِى جَدِّه عَبدِ منَافٍ .

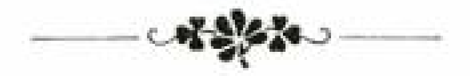
وُلِدَ بالطَّائفِ بَعدَ عامِ الفِيلِ بستٍّ سَنواتٍ وأُمهُ أَرْوَى البَيْضاءُ بنْتُ عَبدِ المُطَّلِب ، فَهِيَ عمَّة الرَّسُول ﷺ .

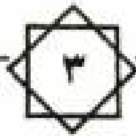


يُكْنَى بأَبِي عَبدِ اللهِ ، وأَبِي عَمرٍو ، كُنِيَ أَوَّلا بابْنِه عبدِ اللهِ مِنْ زَوْجَتِه رُقَيَّة بنْتِ النَّبيِّ ﷺ .

ويُقالُ لَهُ « ذُو النُّورَيْنِ » لأَنَّهُ تزوَّجَ اثْنَتَيْنِ مِنْ بَناتِ الرَّسُولِ ﷺ هُمَا :

رُقَيَّةُ وأُمُّ كلْثُومٍ .





صِفَاتُه

كانَ عُثْمانُ بْنُ عفَّان جَميلَ الصُّورةِ ، لَيسَ بالطَّويلِ ولاَ بالقَصِيرِ حَسَنَ الوَجْه ، رَقيقَ البَشرَةِ ، كَبيرَ اللِّحْية ، وأسْمَرَ اللَّونِ ، طَويلَ الذِّراعَيْن ، وكانَ يُصفِّرُ لِحْيَته .

وَكانَ عُثْمانُ بْنُ عفَّان أنْسَبَ قُريشٍ ، وأعْلَم قُريشٍ بمَا فِيها مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ ، وكانَ فى وَسطِ قُريشٍ مَحْبوبًا ، يأْلفُه كلُّ النَّاسِ ، لِعلْمهِ ، وحَسَبه ، وتِجارَته ، وحُسْنِ مُجالَستِه ، وكانَ شَديدَ الحَياءِ ، ومِنْ كِبَارِ التُّجارِ الأثْرياءِ .

إسْلامُه

أسْلَم عُثْمانُ بْنُ عفَّان رَضىَ اللهُ عَنهُ ، فى أوَّلِ ظُهُورِ الإسْلامِ ، وقَبلَ أنْ يَدْخلَ النَّبىُّ ﷺ دَارَ الأَرقَمِ بن أَبِى الأَرْقَم ، الَّتى كانَ يجْتَمعُ فِيهَا مَعَ أصْحابِه قَبلَ أنْ تنْتَشِرَ الدَّعوةُ .

دَعاهُ إلَى الإسْلامِ أبُو بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضىَ اللهُ عنهُ ، ولمَّا عَرَض أبُو بَكرٍ عَليهِ الإسْلامَ قالَ لَهُ :

- وَيْحكَ [كلمةٌ تُقالُ للتَّعجُّب] ياعُثْمان ، واللهِ إنَّكَ لرجُلٌ حَازمٌ ، ما يَخْفَى عَليكَ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ ، هَذهِ الأَصْنامُ الَّتى يَعبُدُها قَوْمُك ، ألَيْستَ حِجارةً صَمَّاءَ ، لا تَسْمعُ ، لاتُبْصِرُ ، ولا تَضرُّ ، ولاَ تَنْفعُ ؟

فقَالَ عُثْمان :

- نَعَم ، واللهِ إنَّهَا لَكذَلكَ ، لانَسْتَفِيدُ مِنْها شَيْئًا ، ولا تَنْفَعنا ، ولكِن وَجَدْنا آباءَنَا لَها عَابِدينَ وَلِمَ كُلّ هَذا يَاأَبَابَكْرٍ ؟

فَقَالَ أَبُو بكْرٍ :

هذَا مُحمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ ، الصَّادقُ الأَمينُ ، قَدْ بَعثَهُ اللهُ بِرسالةٍ حَقَّةٍ إلَى النَّاسِ جَميعاً ، فَهَلْ لَكَ أنْ تأْتِي مَعِي وتَسْمعُه وتَسْمعَ مِنْه ؟

فقَالَ عُثْمانُ :

- نَعَم ، وَلِمَ لاَ .

وفِي الحَالِ ذَهبَا إلَى الرَّسولِ ﷺ فَقالَ لَهُ الرَّسولُ :

- يَاعثْمانُ أجِبِ اللهَ إلَى جَنَّتِه ، فإنِّي رسُولُ اللهِ إلَيْكَ وإلَى جَميعِ خَلْقِهِ ، جِئتُ إلَى النَّاسِ كافَّةً بِرسَالةِ التَّوحيدِ الَّتِي تَدعُو إلَى اللهِ خَالِقِ السَّمواتِ والأَرْضِ المُقسِّمِ للأَرْزاقِ الَّذِي وَسعَ

عِلمهُ كُلَّ شَىءٍ والذِى لاتُدْركهُ الأبصارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ ، أمَا آنَ لَكَ أن تُسْلِم ؟

فقالَ عُثمانُ : فواللهِ مَاملكتُ حِينَ سَمِعتُ قَوله ﷺ أنْ أسْلمتُ ، وشَهدْتُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورَسُولهُ .

زَوْجته رُقَيَّةُ وهِجْرَتهُ إلى الحَبَشَةِ

رُقَيَّةُ بنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ وأُمُّها خَدِيجةُ بنْتُ خُوَيلدٍ ، وكانَ الرَّسولُ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَدْ زَوَّجها قبلَ أنْ يُبعثَ مِنْ عُتْبة بنِ أبِى لَهبٍ ، كمَا زَوَّج أُخْتَها الصُّغْرى أُمَّ كُلْثُومٍ مِنْ شَقيقِهِ عُتيبَة بنِ أبِى لَهبٍ ، وَلمَّا ظَهرَ الإسْلامُ ، كانَ عَمُّه أبُو لهبٍ مِنْ أشَدِّ أعْداءِ الدَّعْوةِ الإسْلامِيَّة ، ونَزلَ فى حَقِّهِ وحَقِّ زَوْجتِهِ « سُورةُ المسَدِ » وهىَ

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾

طلَّقا رُقيَّةَ وأُمَّ كُلْثوم قَبلَ الدُّخولِ بهما كَرامةً مِنَ اللهِ لهُما ، واحْتِقارًا لِوَلدَىْ أبِي لَهبٍ ، فتزوَّجَ عُثْمانُ رُقيَّةَ بمَكَّةَ ، ولمَّا اشْتدَّ إيذاءُ الكُفَّارِ عَلى المُسْلمِينَ أمرَهُمُ الرَّسولُ بالهِجْرةِ إلَى الحَبَشةِ .

هاجَرَ عُثْمانُ بنُ عفَّان إلَى الحَبَشةِ فارًّا بدينِه إلَى أرْضِ اللهِ الوَاسِعةِ ، مَعَ زَوجَتِه رُقيَّة بِنْتِ الرَّسولِ العَظيم ، فكانَ أوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إلَى الحَبَشةِ ، هُناكَ وَلَدتْ لَهُ ولدًا سَمَّاهُ عَبْد اللهِ ، وكَانَ يُكنَى بهِ ، ولمَّا بَلَغ الغُلامُ مِنَ العُمْر ستَ سنواتٍ مَرِضَ ومَات .

حَيــاؤه

رُوِيَ عَنِ السيِّدةِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها : أنَّ أبَا بَكرٍ استَأْذَنَ عَلى النَّبيِّ ﷺ وهُوَ مضْطَجعٌ عَلى فِراشِه وكانَ لابسًا مِرْطَ السَّيدةِ عَائشةَ [المِرْط : ثَوبٌ غَيرُ مَخيطٍ] فأذِنَ لَهُ وهُوَ عَلى تِلْك الحَالِ ، فَقَضَى إليهِ حَاجَتَهُ ثمَّ انْصرَفَ .

ثُمَّ استَأْذنَ عَليهِ عُمرُ بنُ الخطَّابِ ، فَأذنَ لَهُ وهُو عَلَى تِلْك الحَالِ ، فَقَضى إليهِ حَاجَتَهُ ، ثمَّ انْصرفَ .

ثمَّ استَأْذَن عَليهِ عُثْمان بنُ عفَّان ، فجَلسَ ﷺ وقالَ لعَائشةَ : اجْمَعي عَلَيْكِ ثِيابَكِ ، فَقَضَى إليْهِ حَاجَتهُ ثُمَّ انْصَرف .



قالَتْ عائشةُ رَضيَ اللهُ عَنْها :

- يارَسولَ اللهِ لَمْ أرَكَ فَزِعتَ لأبِي بَكرٍ وعُمرَ كَما فَزِعْتَ لعُثْمان ؟

فقالَ النَّبيُّ ﷺ :

إنَّ عُثْمانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ ، وإنِّي خَشيتُ إنْ أذِنْت لهُ عَلَى تِلْكَ الحالِ لا يُبْلغُ إلىَّ حَاجَتَه .. حَياءً مِنْ رَسولِ اللهِ .

زوجتُهُ أمُّ كُلْثوم

بِنْتُ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ ، وأُمُّها خَديجَةُ بِنْتُ خُوَيْلدٍ ، وهِيَ أصْغَرُ مِنْ رُقَيَّة ، زَوَّجَها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم مِنْ عُثْمان بْنِ عفَّان بَعْد وَفاةِ رُقَيَّة شَقيقَتِها ، ولَمْ تَلِدْ لهُ أوْلادًا ، وتُوفِّيتْ سَنَة تِسعٍ مِنَ الهجْرَةِ .

ورَوى سَعيدُ بنُ المُسيَّبِ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ رأَى عُثْمانَ بَعْد وفاةِ رُقيَّة حَزِينًا مَهْمومًا ، فقالَ لَهُ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم :

- مَالِى أَرَاكَ مَهْمومًا ياعُثْمانُ ؟

فَقالَ عُثْمان :

- يارَسولَ اللهِ هَلْ دَخل عَلى أحدٍ مَادَخَل عليّ ، مَاتَتِ ابْنةُ رسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم الَّتى كانَتْ عِنْدِى ، وانْقطع ظَهْرى ، وانْقَطعَ الصِّهرُ بَيْنى وبيْنَك يارَسُولَ اللهِ .

فَبيْنمَا هُوَ يُحاوِرُه إذْ قَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ .

- هَذَا جِبْريلُ عَليهِ السَّلامُ ، يأمُرنى عَنِ اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ أزُوجكَ أخْتَها أُمَّ كُلْثوم عَلى مِثْل صَداقِها [مَهْرها] وعَلَى مِثْل عِشْرتِهَا . فزوَّجه إيَّاهَا .

صَلابتُهُ فى الحقِّ

لَمَّا أسْلَم عُثْمانُ بنُ عفَّان ، أَخَذَهُ عَمُّه الحَكَمُ بنُ أبِى العَاصِ بنِ أُميَّة فَشدَّ وثَاقَه [ربطه] بحَبْلٍ مَتينٍ وقالَ لهُ :

- أَتهربُ مِنْ دِينِ آبائِكَ إِلَى دِينٍ جَديدٍ مُحْدَثٍ ؛ واللهِ لا أُخلِّيكَ أبدًا حتَّى تَتْركَ مَا أنْتَ عليهِ منْ هَذا الدِّينِ .

فقَالَ عثْمانُ :

- واللهِ لا أدَعهُ أبدًا ولَوْ هَلَكتُ فِيهِ .

فَلمَّا رَأى عمُّه صَلابتَه وتَمسُّكَه بدينِهِ تَركهُ لحَالِه .

تخلُّفه عَنْ بيعةِ الرِّضْوانِ

فى صُلْحِ الحُديبيةِ دَعا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم عُمرَ بنَ الخَطَّابِ ليبْعَثهُ إلَى مَكَّة فَيُبلِّغ عَنهُ أشْرافَ قُريشٍ مَاجَاء لَهُ فقال عُمر :

– يارَسولَ اللهِ إنِّى أخَافُ قُريشاً عَلَى نَفْسى ، ولَيْسَ بِمَكَّة مِنْ بَنِى عَدىٍّ أحدٌ يَمنعُنى ، وقَدَ عَرفتْ قُريشٌ عَداوتى لَها ، وغِلْظَتِى ، ولَكنِّى أدُلُّكَ عَلى رجُلٍ أعزّ بهَا مِنِّى ، عُثْمان بْنَ عَفَّان .

فَدعَا رسولُ اللهِ عُثْمَانَ بنَ عَفَّان فبَعثه إلى أبِى سُفيان وأشْرافِ قُريشٍ ، يُخْبِرُهُم أنَّه لَمْ يأتِ لحَرْبِهِم ، وإنَّما جاءَ زائرًا لِهَذا البَيتِ ومُعظِّمًا لِحُرْمته .

فخَرجَ عُثْمانُ إلىَ مَكَّة حتَّى أتَى أبَا سُفْيان وعُظماءَ قُريشٍ ، فبَلَّغهُم عَنْ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ ماأرْسَله بهِ ، فقالُوا لِعثْمَانَ حِينَ فرغَ مِنْ رِسالةِ رسُولِ اللهِ إليْهِم :

– إنْ شِئْتَ أنْ تَطوفَ بالْبيْتِ فَطُفْ ، فَلا مَانِع عِنْدَنا .

فقَالَ عُثْمانُ :

- مَا كُنْتُ لأفْعَل حَتَّى يَطوفَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم .

واحْتَبستْهُ قُريشٌ عِنْدَها ثَلاثةَ أيَّامٍ ، وأشَاعَ النَّاسُ أنَّهمْ قَتلوهُ ، وعلَى كلِّ حالٍ سَواءٌ حَبسوهُ أوْ قتلُوه لَمْ يَكنِ الخَبرُ مُحقَّقًا ، بايَعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ عَنْ عُثْمانَ ، وفى ذَلِكَ إشَارةٌ إلَى أنهُ لَمْ يُقْتَل ، وإنَّمَا بايَعَ أخْذًا بثَأرِ عُثْمان جَريًا عَلَى ظَاهِرِ الإشَاعةِ تَثْبيتًا وتَقْويةً لأولئِكَ القَوْم ، فوضَعَ يَدهُ اليُمنَى عَلى يَدِه اليُسْرى وقَالَ :

- اللّهمَّ هَذهِ عَنْ عثْمان فى حَاجَتِكَ وحاجَةِ رَسُولكَ .

ثمَّ نَزَل القُرآنُ الكَريمُ عَلَى الرَّسولِ بقَولِه تعالَى .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾

وبَعْدَ أنْ جاءَ عُثْمانُ رَضىَ اللهُ عنهُ مِنْ مَكَّة بايعَ بِنَفْسه .



خِـــلافَتُـــه

تَوَلَّى الخِلافَةَ بَعْد مَقْتَلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رَضِىَ اللهُ عَنهُ وكانَتْ مُبايعتُه بهَا يَوْم الاثْنَين آخرِ شَهْر ذِى الحجَّة سَنَة ٢٣ هِجْرية ، وكانَ عُمرهُ ٦٨ عامًا ، وفى عَهْدِهِ تمَّ الفَتحُ الإسْلامىُّ الكَبيرُ ، وانْتَشر الإسلامُ فى رُبُوعِ الأرْضِ ونَشر اللهُ دِينَهُ وأعلَى كَلمتَه ، وجَعَل كَلمةَ الَّذينَ كَفَرُوا السُّفْلَى .

مقتلـــهُ ودَفْـــنـــهُ

قُتلَ عُثْمانُ بنُ عَفَّان بَعْد أنْ وُلِىَ الخِلافَة مُدَّة ١١ سَنِة و١١ شهرًا مِنْ مَقْتَلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، ودُفِنَ فى مَنْطقة « حسن كوكب » وكانَ قَدِ اشْتَراهُ ووسَّعَ بهِ البَقِيعَ لَيلةَ السَّبتِ بَيْنَ المَغْرب والعِشَاء .

رَضِىَ اللهُ عَنْ عُثْمانَ وقَدْ بشَّرهُ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم بالجَنَّة إذْ قالَ الرَّسُولُ – عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ – لعَبْدِ اللهِ بنِ قَيس لمَنْ طَرَق البابَ عَلَى الرسُولِ :



- ياعَبْدَ اللهِ قُمْ فافْتحِ البابَ للطَّارِق وبشِّرْهُ بالجنَّةِ .

فقُمْتُ وفَتحتُ البَابَ ، فإذَا الطَّارِقُ عُثْمان بنُ عَفَّان ، فأخْبَرْتُه بمَا قالَ الرَّسولُ صَلَّى الله عَليهِ وسَلَّم فقَال عُثْمان : اللهُ المُستعَانُ وعَليهِ التّكْلانُ .

ثم دخل فسلم وقعد . رضى الله عن عثمان وصحبه

